

مقدمة

ذهب الكثير من الناس لتصنيف بعضهم على اعتبار الذكاء والغباء، وهو ما دفع البعض لأن يتبارى في إثبات ذكائه بتميزه وقدرته على التفوق، لارتباط التميز وإثبات الذات عندهم بالذكاء. ومن هنا شاع بين الناس استخدام كلمة الذكاء التي سادت وانتشرت بقوة كبيرة في كل المجتمعات وميادين الحياة، الأمر الذي جعل العامة والخاصة لاعتباره «الذكاء» هو المقياس الرئيسي في وجود «الفروق الفردية» بينهم فذهبوا لتصنيف بعضهم البعض بهذا ذكى وآخر غبي. في حين يرى آخرون أن الخوض في هذا الموضوع - أكذوبة الذكاء - امر صعب بل مستحيل وذلك بسبب إعتقاد العامة من الناس بل وكثير من الفلاسفة وعلماء البيولوجي، وعلماء النفس والاجتماع في هذا المصطلح.

فقد تناولت هذا الموضوع بعد اطلاع ودراسة وجهات النظر المختلفة لنظريات الذكاء، فكانت تعريفات ودراسات لوجهة النظر البيولوجية (العلمية)، والنفسية (السيكولوجية) ومن قبلهما وجهة النظر الفلسفية، ولقد وجدت أن كل هذه المفاهيم متباينة ولم تصل إلى اتفاق على ماهية الذكاء وأين يوجد ولكنهم ردوا الفروق الفردية التي توجد بين الأفراد وتعود إلى الذكاء العقلي كعامل رئيس بجانب عوامل أخرى.

ولكن منذ فترة ليست بالقريبة راودتني فكرة «الفروق الفردية بين الأفراد» والتي تجعل الفرد متميزا ومن ثم مبدعا ومبتكرا وهذا من المؤكد يعود إلى شيء آخر ولم يكن الذكاء المعتقد لأننا خلقنا متساوين في كل شيء بالنسبة لوجود هذه الأشياء في جسم الإنسان.

ولقد توصلت إلى حقيقة الأمر إنه ذلك الشيء الموجود في كل إنسان من المخلوقات البشرية والذي بسببه يصبح الفرد مميزا ومبدعا وصاحب شخصية منفردة في شيء معين ومحققا لذاته بين أفراد المجتمع الواحد بل كل المجتمعات الأخرى طبقا لنوعية الشيء الذي يقدمه هذا الفرد إلى كل الناس.

بعد المناقشة والتحليل لنظريات الذكاء والمفاهيم المختلفة لوجهات النظر التي لم تتفق على تعريف واحد أو شيء معين للذكاء العقلي في الإنسان وبالرغم من هذا شاع وانتشر مصطلح الذكاء بين الناس بأنه العامل الرئيسي المؤدى إلى التميز والإبداع لآلاف المتفوقين في الدراسة والتعليم والتعلم، ولقد توصلت إلى الحقيقة الغائبة عن كل الناس وهذا بعد معرفتي أن التفوق البارِع يعود إلى قمة التحصيل للمواد المختلفة من الدراسة وما نسميه «المحصلة»، والتي بدورها تكون العامل الرئيسي للتفوق الدراسي الباهر ولكن بدون إبداع ولا ابتكار وهنا أقول.... أين الذكاء؟ وبعد التفوق الباهر الذي عاد إلى قوة «المحصلة» وليس إلى الذكاء المعتقد لا تزال الفروق الفردية موجودة بين هؤلاء المتفوقين.

ولقد وجد العلماء أن بعض الأفراد متميزون في علم معين بخلاف الآخرين فاعتبروا أن هذا التميز والتفوق مرجعه «الذكاء»، علما بأن الآخرين متميزين في موضوعات أخرى ترجع أيضا لذكائهم في تلك الموضوعات، وهذه ما دفع العلماء لابتنكار أحدث النظريات «نظريات الذكاءات المتعددة» والتي تعد خير دليل على صدق قولى.

لم أعتمد فى المناقشة والتحليل على الناحية العلمية البيولوجية والفسىولوجية والنفسية فقط، ولكن استندت بأقوى دليل قاطع وحازم لكل الناس وهو ما أنزله الله من رسالات على البشر جميعهم من يهودية (التوراة) والمسيحية (الإنجيل) والإسلامية (القرآن الكريم) ولأن القرآن الكريم متمم لكل الرسالات، فلقد اظهرت آيات الله فى القرآن الكريم الدليل على وجود الهبات أو العطاءات العامة التى وهبها الله للإنسان وجعلها متساوية عند كل الناس فى وجودها ونوعيتها ولم يحرم أى إنسان منها وأيضاً الهبات الخاصة التى تساوت فى وجودها وإن اختلفت فى نوعيتها.

وتظهر أهمية دراسة هذا المفهوم فى أننا نستطيع أن نقدم أحسن وأفضل خطة للتعليم والتعلم ومن ثم تغيير الثقافة الفكرية للمعلمين والمتعلمين بالتوازى مع تطوير الثقافة الفكرية للمجتمع المصرى خاصة والمجتمع العربى والعالم الثالث عامة.

ولعلك بعد أن قرأت وجهة نظرى الشخصية لإثبات أن هذه النظريات

جاءت لشيء وهمى فإن أصبت فهذا توفيق من الله وإن أخطأت فمن نفسي،
وكما قال الإمام الشافعي «رأى خطأ يحتمل الصواب ورأى غيرى
صواب يحتمل الخطأ» والقارئ الكريم يستطيع تبيان ما إن كان رأى
خطأ أم صائبا.

والله الموفق

أ. د. صبرى السيد السيد